

8

قصص المبشرون بالجنة

أمين
الأمّة

سلوى العناني

دار اللطافة

أميين الأمة

(أبو عبيدة بن الجراح)

صدق الله وعده وانتصر المسلمون في بدر .. وعاد من
بقي من فرسان قريش يحبرون هزيمتهم ، ويكون قتلاهم
ويرسلون في فداء أسراهم .. إلا أن روح الثار في قلوبهم
كانت تشتعل في كل يوم لتأجيج هذه الرغبة في قتل
المسلمين ..

أعدت قريش العدة .. ثلاثة آلاف مقاتل .. وزودتهم
بالسيوف والتبيل .. يمتطون ظهور مائتي فرس ، وثلاثة
آلاف بعير حاملين معهم من الزاد ما يكفيهم ..

وسط هذه الحملة الضخمة حملت الهودج⁽¹⁾ عددا من
النساء ، جئن يلهين حاملي المقاتلين ويشعلن فيهم نار
الثار ، وفوق أخذ هذه الهودج كان صنم كبير من أصنامهم

(1) الهودج: جمع هودج وهو حربة صغيرة توضع على ظهر الإبل وتخصص عددا لظهور النساء .

قد رُئِيَ بالقلائد والحلى ..

ووصل الخبرُ إلى النبيِّ وصحبه في المدينة ، وعلموا أن
قريشًا تعسكر بالقرب من جبل (أحد) على مسافة خمسة
أميالٍ من المدينة ..

اجتمع المسلمون يتدارسون الموقف - وانتهى رأيهم إلى
وجوب الخروج لملاقاة كفار قريشٍ عند (أحد) ..

كان اليوم الجمعة الرابع عشر من شوالٍ .. صلى النبي
بالمسلمين ، ثم خرج إلى (أحد) مع سبعماية مقاتلٍ .. وبدأ
بمنظّم قوائمه ..

ومع صباح السبت الخامس عشر من شوالٍ صار بهم
فرض خمسين من الرمة على عمّات الجبل ، وقال لهم :

"احموا لنا ظهورنا فإننا نخاف أن يجهتونا من ورائنا والزموا
مكانكم لا تفرحوا منه ، وإن رأيتمونا نهزمهم حتى نخضع
عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وإن رأيتمونا نُقتل فلا

تعيّنونا ، ولا تدافعوا عنا ، وإنما عليكم أن ترضقوا خيلهم
بالنبل ، فإن الخيل لا تقدم على النبل " .

والتقى الجيشان : جيش المسلمين بعدده القليل وعذته
المناخضة وإيمانه القوى .. وجيش قريش بفرسانه وخيوله
وأسلحته .

وكان النصر للسلح الذي لا يقهر .. للإيمان بالله
وبرسوله وبالدين الذي نزل من السماء ليخلص أمة
الأرض من الظلم والعبودية ..

وتراجع أبطال قريش الذين كانوا مضرب الأمثلة بين
العرب في القوة والشجاعة أمام قوة المسلمين .. ولأدوا
بالفرار .

وتبع المسلمون فلول الكفار الهاربة مخلقة وراءها غنائم
لا حصر لها .. فلما رأوا هذا الخير انصرفوا عن إتمام
ملاحقة العدو للفرار بالغنائم .. بل إن الرماة الذين أمرهم

رسول الله من قبل ألا يبرحوا مكانهم مهما كان الأمر .. ما
كانوا يرون زملاءهم يتكاثرون على الغنائم حتى جرى عبدٌ
كثيرٌ منهم للحق بأنصبتهم ..

فلما رأى المشركون الثقلاء المسلمين حول الغنائم عادوا
إليهم .. ودارت الدائرة .. وألقى المسلمون بما في أيديهم
وعادوا إلى القتل ..

لكن هيهات أن يستطيعوا ثم الشمل وتنظيم الصفوف ..
عم الهرج ، واتجه العدو ناحية الرسول يبغي الخلاص منه
للقضه على دعوة الإسلام من جذورها .. وأشاع البعض
مقتل النبي .. إلا أن هناك مجموعة من المؤمنين أقوياء الإيمان
كانت الضمت حول الرسول تدافع عن دينها وعن نبيها ،
وكان كل رجلٍ منهم يحمل في قلبه وساعديه عشرات
المقاتلين ..

فمن هؤلاء (علي بن أبي طالب) و (أبو بكر الصديق)
و (عمر بن الخطاب) و (أسعد بن أبي وقاص) و (أُمّ عمر)

الأنصارية) و (أبو حنيفة) و (كعب بن مالك) و (أبو
عبيدة ابن الجراح) ..

هـ التف هؤلاء الصحابة وغيرهم حول رسول الله يصدون
عنه هجوم كفار قريش المسموم .. بينما هم ينسحبون بعيداً
عن بؤرة القتل ..

التف (عليه) كرم الله وجهه فرأى الدّم يسيل من وجه
النبي وهو يمسحه بيده الكريمة ويقول: "كيف يفلح قوم
خضبوا وجه نبيهم ، وهو يدعوهم إلى ربهم؟" .. فأسرع
إليه بلقاء يغسل به الوجه الطاهر ...

إنهما حلفتان من (المعقر)⁽¹⁾ الذي كان النبي يغطى به
رأسه وقد انمرستا في وجهه الشريف فأسالتا دمه الزكى ،
ويسرع رجل من أهل الجنة إلى النبي فيقبض على الحلقة
الأولى بأسنانه فينزعها ويسقط على الأرض ، وتسقط معا

(1) المعقر: الرأس الممزق يصرع من حلقه جديدة عذابه

(ثنيته) ^(٢٢) . ثم يترعُ الحلقة الثانية فتسقط معها ثنيته الثانية ..

فمن هو هذا الرجل .. الثقيُّ المؤمنُ الذي مَلَأَ الإيمانُ قلبه ، فدفعه حبه للنبي لأن يقوم بما قام به دون تفكير أو تردد .

ولندع للصديق (أبي بكر) يصف لنا هذه الواقعة :

"لما كان يومُ أحدٍ ، ورَمَى رسولُ الله عليه السلامُ حتى دخلت في وجنته حلقتان من المغفر ، أتبلت أسعى إلى رسول الله عليه السلام ، وإنسان قد أقبل من قبل المشرق بطير طيرانا ، قلت اللهم اجعله طاعةً ، حتى إذا نوافينا إلى رسول الله إذا هو أبو عبيدة بن الجراح قد سبقني ، فقل : أسألك بالله يا أبا بكر أن تتركني فأنزعها من وجه رسول الله عليه السلام ، فتركته ... فلأخذ أبو عبيدة بثنيته إحدى حلقتي المغفر ، فنزعها وسقط على الأرض وسقطت ثنيته

معه ... ثم أخذ الحلقة الأخرى بشيئته الأخرى فسقطت ...
فكان أبو عبيدة في الناس (أشرم) ⁽¹⁾ ..

إنه أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح .. أحد الستة
السابقين الأوائل الذين دخلوا الإسلام على أبي بكر
الصديق ..

آمن أبو عبيدة بمحمد نبيا ورسولا وبأن الله واحد قادر لا
شريك له .. ومنذ اليوم الأول أظهر ولاء لا يواتيه ولاء
بهذا الدين ولرسوله .

عندما امتد وقع الاضطهاد على المسلمين من كفار مكة
نصح الرسول عليه السلام عددا من أتباعه بالهجرة
والتفرق في الأرض فرارا بدينهم ... واختار لهم الحبشة
مهجرا .. لماذا؟

"لأنها بما ملك لا يُظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ،
حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه" ..

(1) أشرم : هو الشخص الذي كسرت أعضائه الأصابع والفرد على نظام بعض الحروف .

هكذا رأى رسول الله ..

فهاجر فريقٌ مكونٌ من أحدَ عشرَ رجلاً وأربعِ نسِوةٍ ،
مخرجوا سرا حتى لا يشعرَ بهم أحدٌ ، وانجسوا إلى حيث
نصحهم رسولُ الله .. إلى الحبشة .

وهناك قضوا عدةَ سنواتٍ ، ثم علموا ظناً منهم أن أحوالَ
المسلمين قد تحسنت في مكة .. إلا أنهم رأوا في عودتهم
استمراراً للظلم والاضطهاد والتعذيب ، فخرجت قافلةٌ
ثانيةٌ مهاجرةٌ إلى الحبشة ضمت حوالي ثمانين رجلاً غير
نساءهم ..

كان أبو عبيدة بن الجراح واحداً من هؤلاء المهاجرين
الأوائل إلى الحبشة ، وظل هناك مع مجموعة المسلمين إلى أن
هاجر النبي وأصحابه إلى (يثرب) فعادوا إلى جوار رسول
الله ..

شعر الرسول بمدى إخلاص أبي عبيدة لدينه ، وعقيدته ،

وليه ، فأعجب بخصاله وسلوكه حتى إنه قل :

"أمين هذه الأمة ، أبو عبيدة بن الجراح" .

حارب أبو عبيدة إلى جوار رسول الله في (بدر) (وأحدا) وغيرهما من المشاهد والغزوات .. وبرزت ثقة النبي في شخص أبي عبيدة يوم أنى وقد (لجران) من اليمن إلى أنى يعلن الإسلام ويتطق بالشهادة .. ثم سأله أن يبعث معهم من المسلمين الأوائل من يعلمهم أمور دينهم من القرآن والسنة ..

فقال رسول الله عليه السلام :

"لأبعثن معكم رجلاً أميناً .. حق أمين .. حق أمين .. حق أمين ..

أمين" .

ساعتها ثنى كل واحد من الصحابة أن يكون صاحباً

هذه الشهادة .. فمن لا يضمن أن يشهد له النبي بأنه (حق

أمين) ويكررها ثلاثاً .

وبعد أن صلى النبي بالمسلمين أثنى إلى أبي عبيدة بن
الجراح وقال :

"أخرج معكم ، فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه" .
وذهب أبو عبيدة إلى اليمن يعلم المسلمين أمور
دينهم . ويحكم فيما اختلفوا فيه ويدعو إلى سبيل الله
بالحكمة والموعظة الحسنة . فدخل الإسلام على يديه عدد
كبير من الناس .

سافر أبو عبيدة إلى الشام ضمن حملة حريص كان يقودها
(خالد بن الوليد) .. فابلى بلاء حسناً ، رغم أنه كان أكبر
سناً من خالد وأسبق منه إلى الإسلام ، إلا أن القيلة
والإمارة لم تكن من ضمن أعلانه .. كان حلمه الوحيد هو
إعلاء كلمة الله ونشر دين الإسلام .

وبينما كان (خالد بن الوليد) يقود رجاله في موقعة
مهمة وحاسمة في بلاد الشام .. أرسل الخليفة عمر بن

المخطوب برسالة إلى أبي عبيدة يعهد إليه فيها بقيادة جيش المسلمين ..

ورأى الصحابي النقي الورع (أبو عبيدة) أن هذا الوقت غير مناسب للإبلاغ خالد بمضمون رسالة أمير المؤمنين .. فكتبها وأمر حامل الرسالة بكتماها حتى انتهت المعركة بتصر المسلمين ، فأتته إلى خالد وقدم له رسالة أمير المؤمنين .. وتعجب خالد وسأله :

"يرحمك الله يا أبا عبيدة .. ما منعك أن تخبرني حين جاءك الكتاب؟"

فجابه : (أمين الأمة) .. كما أسلم رسول الله عليه السلام :
"كرهت أن أكسر عليك حربك .. وما نريد سلطان الدنيا .. ولا للدنيا نعمل .. كلنا في الله إخوة" ..

ويتسلم ابن الجراح الراية من ابن الوليد ويقود جيوش المسلمين في عدد من المعارك ، وأصبح يحارب تحت قيادته

عديد من القلاع الكبار فأطلقوا عليه اسم (أمير الأسرار) ..

ولما شاعت عنه هذه التسمية تألفت نفسه فقد كان يعيش

بين جنوده ، وأتباعه ، كواحد منهم لا يتميز بلباس ، أو

اللقب ، أو طعام .. ثم أراد أن يوقف هذا (الامتياز) أو

(اللقب) الذي منح إله الناس لوقف فيهم خطيئا ...

"أيها الناس .. إني مسلم من قريشي .. وما منكم من

أحد ، أحر ، ولا أسود ، يفضلني بتقوى الله إلا وجدت أني

في إهابه" ...

هنيئاً لأهل الشام يحاكم زاهد ، عليل ، قانت ، عابد مثل

أبي عبيدة بن الجراح ... كانت البلاد تعيش ثراء ما بعده

ثراء .. وبدأ الناس يعتادون البذخ والنعيم والترف .. لكنه

كان كما أحب أن يكون ..

زراء الخليفة (عمر بن الخطاب) في منزله يوماً وهو أمير

على الشام فتعجب أمير المؤمنين مما رأى ..

فليس في الدار من الأثاث شيء .. ليس هناك إلا عدة
الجهاد .. السيفُ والترس^(١) والراحلة .. ويتمتع الخليفة في
نفسه ..

"ألا اتخذت يا أبا عبيدة لنفسك مثلما يصنع الناس؟"
لكنك أبو عبيدة بن الجراح .

لما بلغ أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) نها وفاة أبي
عبيدة ابن الجراح ، جرت دموعه غزيرةً لفقد زميل الكفاح
وشريك النضال في سبيل الدعوة وقل :

"لو كنت متعتها .. ما تمكنت إلا بيتاً ملحواً برجل من
أمثال أبي عبيدة" .

(١) الترس: هو كل ما يقى به الحارب عن صدور وظهره

